فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*. السنة الثالثة، العدد الثاني (المتوالي ۶)
ربيع وصيف ۱۳۹۹ش/ ۱٤٤۱ق. من صفحة ۱۵۱ الى ۱۶۳

Biannual Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 3, No. 2, Spring & Summer 2020; (Issue 6). pp. 151-163

مظاهر الاتّساق في نهج‌البلاغة من منظور النحو الوظيفي
(الرسالة ۲۸ نموذجًا)

مريم جليليان

تأريخ الاستلام: ١٤٤١/٠٨/١٦ **تأريخ القبول: ١٤٤٢/٠١/٢٠**

أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، خرم آباد، ايران؛ Jalilian.ma@lu.ac.ir

Textual Cohesion Techniques in Nahj-ul-Balaghah from a Functional Linguistics Perspective (The Twenty Eighth Letter as a Case Study)

Maryam Jalilian

Received: 10 April 2020 **Accepted: 9 September 2020**

Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Lorestan University, Khorramabad, Iran; jalilian.ma@lu.ac.ir

الملخص

يعتبر الاتّساق من أهم القضايا التى تنضوي إلى لسانيات النصّ. رغم عدم ضبط دلالة واحدة للاتّساق يتجه المعنى العام له إلى ترابط النصّ في المستوى البنائى ويتحقق بارتكازه على العناصر التركيبيّة والمعجميّة. نظرا لأهمية نهج‌البلاغة كنصّ فريد ومتميّز في الأسلوب، يتناول هذا البحث كيفية الاتّساق وأهمّ ميزاته في رسالة وجّهها الإمام على (ع) إلى معاوية ردّا على رسالته واعتبرها الشريف الرضيّ من محاسن الكتب. الوصول إلى هذا المهم يتحقق باستخدام المنهج التحليلى والإحصائى، وفي إطار النظرية التى قدّمها «مايكل هاليداي» و «رقية حسن»، ويتمّ باستخراج أهم آليات الاتّساق المسيطرة على البنية اللغوية في الرسالة. قد تبيّن من البحث أنّ تلاحم الأجزاء والوحدات التركيبية والمعجمية يمنح النصّ نوعا متميزا من الاتّساق، ويكون نتاج الاتّساق التركيبي بأنواعه المختلفة نحو الإحالة بالضمير، وخاصة ضمائر الحضور، وأداة الربط، وكذلك الاتّساق المعجمى الذي يركّز في معظمه على التكرار بنوعيه تكرار اللفظ والتكرار الاشتقاقى، والتضاد والتوازي.

الكلمات الدليلية: نهج‌البلاغة، الرسالة الثامنة والعشرون، الاتساق، الاتّساق التركيبي، الاتّساق المعجمي.

Abstract

Cohesion is one of the main topics in discourse analysis and linguistics. There is no precise definition for cohesion, but generally speaking it means interconnectedness in the level of structure of the text which is achieved through syntactical and lexical elements. Considering the importance of Nahj-ul-Balaghah as a unique text in style and way of writing, the present study investigates cohesion and its important features in one of Imam Ali's letters in response to Mu'awiyah which al-Sharif al-Razi has praised as one of Imam Ali's best letters. This goal is achieved through the analytical and statistical approach within the framework of the theory presented by Halliday and Hassan (1976), and also by extracting the most important cohesion elements at the linguistic level in the letter. Results of this study revealed that consistency between lexical and syntactical elements gives the text a kind of cohesion that is the result of different kinds of syntactical items such as referring pronouns especially the present pronouns (first and second person), and conjunctions. On the other hand, the lexical cohesion of the letter is generally based on contrast, parallelism, repetition, and etymological repetition.

Keywords: Nahj-ul-Balaghah, The Twenty Eighth Letter, Cohesion, Syntactical Cohesion, Lexical Cohesion.

المقدمة

الاتّساق قوام النصّ ويتحقّق به التقريب وحسن المناسبة، وشرط أول لكي يكون الكلام نصّا. فالنصّ ليس مجرد جمل منفردة مجمّعة، وإنّما هو مجموعة من الجمل المتماسكة وللتماسك أهمية كبيرة من الوجهة اللسانية النصّية. علم النصّ يعتبر النصّ كله وحدة للتعبير، ومهمّته الأولى تتجلّى في «الاستفسار عما يحوّل مجموعة من الجمل إلى النص وذلك من قواعد بناء النص وتحديده» (ساندريس، ٢٠٠٣: ١٤٦). وبما أنّ مجال البحث في التماسك واسع وطرائقه متنوعة ومتعددة فتمّ التركيز في معالجتنا بشكل محدد على دراسة الاتساق، وبمنعزل عن الأنماط الأخرى للتماسك نحو السياق والتداولية و...، ولا يتسع المجال للإلمام بكافّة جوانب النص.

قد ساهمت في عملية الاتّساق مجموعة من الوسائل والأدوات النحوية والمعجمية وهذا ما جعل الاتّساق يكون تركيبيا ومعجميا، فعدم الاتّساق فيهما يؤدّي إلى الانقطاع والتشتّت في الدلالات. الربط النحوي التحام بين أجزاء الكلام، ويتمثل في العلاقات الإسنادية في الجمل ويكون في قوة ارتباط الجمل فلا يتحقق المعنى إلا من خلال علاقاتها مع ما يلحقها أو يسبقها. والاتساق المعجمي يتجلى في ضوء التواصل عبر مجموعة من العناصر المعجمية المترابطة على مدار النصّ.

تعدّ نهج‌البلاغة من أهم الكتب الدينية وبما تشتمل عليها من المضامين العالية والعبارات البليغة حظي بنصيب وافر من الدراسات، وهو يجدر بالعناية البالغة من زوايا دراسات حديثة ومنها علم النصّ وخاصة التماسك والاتّساق. وخير دليل لهذا الكلام ما اعترف به شارحه –ابن أبي الحديد ـ في قوله: «إذا تأملته، وجدتَه كلَّه ماءً واحدًا، ونَفَسًا واحدًا، وأسلوبًا واحدًا، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفًا لباقي الأبعاض في الماهية» (ابن ابي الحديد، ١٩٦٥م: ١/ ٩). وكما نقل الجاحظ عن جعفر بن يحيى: «ألا ترى أنّ كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها، جاذبة إيّاها إلى نفسها دالّة عليها لذاتها» (المصدر نفسه، ٦/ ٢٧٨). فكلام الإمام (ع) متّسق ومتحدّر كتحدّر الماء المنسجم.

هذا البحث ينتقي رسالة ولا خطبة، فعلى الكاتب أن يمعن النظر في رسالته، «ومهمته أكثر ضرورة من مهمة المتكلم. لأنّ الكاتب لا يملك الوسائل اللالغوية نحو اللهجة والحركات وهو يستعيض بوسائل أدبية للتوكيد» (ابوملحم، ١٤٢٩: ١٧٠). يهتمّ هذا البحث برصد أهمّ أدوات الاتّساق والترابط في إحدى رسائل الإمام علي (ع) الواردة في نهج‌البلاغة وهي الرسالة الثامنة والعشرون التي أرسلها الإمام (ع) إلى معاوية ردًّا عليه، وما اعتبره الشريف الرضي﵀ من محاسن الكتب. والغاية من هذا المقال تسليط الضوء على كيفية الاتّساق فيها.

هذا البحث يسعى للإجابة عن بعض الأسئلة، وهي:

– ما هو أهمّ مظاهر الاتّساق من منظور «هاليداي» و«حسن» في رسالة الإمام علي (ع) ؟

– وأيّ آليات الاتّساق أكثر تداولا في الرسالة؟

المنهج الذي يختاره هذا البحث هو عرض الأسس لنظرية «هاليداي» و«حسن»، وتطبيقها على ما كتبه الإمام علي (ع). ولهذا يهدف إلى القيام بدراسة مفصلة للعناصر المؤثرة وكيفية إسهامها في تحقيق الاتّساق وممارسة بعض أدواته على نهج‌البلاغة وبالتركيز على إحدى أجمل كتاباته. ويقوم على ركنين متقارنين وهما التحليل الكيفي والكمي. البحث يعتمد على الدراسة التحليلية–الإحصائية، وللإحصاء قيمة بارزة في البحث، إذ يفيد في استخراج معدّل تكرار الظواهر ودرجة تكثيفها. فتقوم النتائج بالإسناد إلى التحاليل من جهة وإلى الإحصاءات من جهة أخرى.

مازال يعتني الباحثون بالدراسة في نهج‌البلاغة وكلام أمير الكلام (ع) وكذلك منهم من نظروا إليه من منظور اللسانيات الحديثة، فممّا عثرنا عليه في هذا المجال:

١. مقالة تحمل عنوان «تقييم الانسجام النحوي غير الهيكلي في ترجمة خطبة الجهاد (شهيدي وغرمارودي نموذجًا)» لعلي‌اكبر نورسيده و مسعود سلماني حقيقي، وأصدرتها مجلة دراسات حديثة في نهج‌البلاغة سنة ١٤٤١، وقام الباحثان فيها بدراسة

مدى التزام المترجمين بتجسيد الانسجام الموجود في النصّ الأصلي.

٢. مقالة «الاتساق المعجمي في رسائل نهج‌البلاغة» (رسالة الإمام علي (ع) لمالك الأشتر النخعي نموذجًا)، أصدرتها مجلة اللغة العربية وآدابها سنة ٢٠٢٠، وكتبتها سكينة محمدي وإنسية خزعلي وقامتا الكاتبتان بدراسة بعض أدوات الاتساق المعجمي نحو التكرار والتضام في العهد الحكومي.

٣. مقالة «الأبنية الإحالية في نماذج مختارة من حكم نهج‌البلاغة» لعطية هادية التي طبعت في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، والكاتبة اكتفت بالإحالة (إحدى من وسائل الاتساق التركيبي) في عدد من حكم نهج‌البلاغة.

٤. مقالة لعبد الهادي الشاوي وهي «مظاهر الانسجام النصّي في رسالة الإمام علي عليه السلام للقاضي شريح»، والكاتب اختار في بحثه بعض آراء عبد القاهر الجرجاني حول أثر الوصل والفصل أو التقديم والتأخير و... في الانسجام.

٥. كتاب عنوانه «التماسك النصي» (دراسة تطبيقية في نهج‌البلاغة) لعيسى جواد فضل محمد الوادعي. الكاتب قام بإتيان كثير من آراء النحويين حول التماسك، واعتنى بتبيين النظريات المنوعة في الدراسات الحديثة العربية والغربية واستمتع لشرحها من النماذج المبثوثة لها من القرآن الكريم ونهج‌البلاغة ولم يختر نصا متماسكا أو نظرية معينة.

٦. مقالة «الحذف كعنصر اتّساقي في نهج‌البلاغة (دراسة في ٣٠ خطبة طويلة)»، أصدرتها مجلة العلوم الإنسانية الدولية العدد ٢٠ سنة ١٤٣٤ق. الكاتب جعل عددا من خطب نهج‌البلاغة في إطار واحد ودرس عنصر الحذف فيها.

كما يبدو، بعض الدراسات اختار جانبا واحدا دون النظر إلى الجوانب الأخرى المؤثرة في الاتساق، والبعض اختار مجموعة من النصوص المنفصلة (نحو عدة خطب أو حكم) لدراسة الاتساق. تميز هذا المقال بالقيام بدراسة تحليلية لآليات الانسجام المنوعّة وفقًا لنظرية «هاليداي» و«حسن» في رسالة واحدة من رسائل الإمام عليه السلام، لأنّه لكل رسالة مخاطبها الخاص ومقتضياتها المتميزة التي تفصل بينه وبين الكتابات الأخرى، وكيف يمكن أن يتسق نصٌ بنص آخر يختلف عنه تماما في المتلقي والموضوع ومقتضى الحال؟

وأما حول الرسالة هذه وجدت بحثا واحدا عنوانه: «دراسة أساليب الإقناع في رسائل الإمام على (ع) (نموذجا الرسالة الثامنة والعشرين من نهج‌البلاغة)» لمهدي عابدي جزيني وهاجر إلهايى، طبعت بمجلة اللغة العربية وآدابها، الصيف ١٤٤٠. قام الكاتبان باستخراج أهم آليات الإقناع المستخدمة في الرسالة نحو الروابط الحجاجي والقسم والاستشهاد بالمثل والآيات القرآنية والسؤال البلاغي. فما وجدت دراسة في الاتساق حول هذه الرسالة التي تميّزت بتواجد ملحوظ لميزات النص المتسق فيها، ورغم أن الرسالة لا تزيد على صفحتين، إلا أنها زخرت بجم غفير من وسائل الاتساق المنوعة وتعاضدها.

الاتساق

الاتّساق (Cohesion) هو «إلصاق الشيء بشيء آخر بالشكل الذي يشكلان وحدة» (آكسفورد، ١٩٨٩م: ١٧٣). وهو «التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ أو خطاب ما، يهتمّ فيه بالوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكونّة لجزء من الخطاب، أو الخطاب برمّته» (الخطابي، ١٩٩٢م: ٥). الوسائل اللغوية أو الشكلية تشير إلى الظواهر النحوية والمعجمية البارزة التي تعتبر المكونّات الأساسيّة للسانيات النصّ. فالاتّساق يدلّ على ترابط الجمل في النصّ بعضها مع بعض بوسائل لغوية معينة «وهذا الترابط يهتمّ بالروابط التي تجري في سطح النصّ أكثر من اهتمامه بالشكل الدلالي أو المعنوي للنصّ» (جمعان، ٢٠٠٧م: ٢١). فلابد لتحقيق الاتّساق الدلالي أن يتسق النصّ نحويا ومعجميا، لأن عدم الاتّساق في هذين المجالين يؤدّي إلى الانفصال في الدّلالات.

أعد «مايكل هاليداي» و«رقية حسن» كتابا عن التماسك بالإنجليزية صدر عام ١٩٧٦ تناولا فيه أنماط

التماسك وصوّراه بصورة مفصّلة.[1] وقد عرضا عملية الاتساق من وجهة نظر عملية؛ فأُسُس التماسك اللفظي لديهم تتمثل في العناصر التركيبية والمعجمية. من أهمّ الروابط المساهمة في الاتّساق التركيبي (Grammatical Cohesion): الإحالة (Reference)، الاستبدال (Substitution)، الحذف (Ellipsis)، والربط (Junction). وكذلك الاتّساق المعجمي (lexical cohesion) يتحقّق من خلال السجع والجناس والتكرار والتضام (المصاحبة اللغوية). (alliday and Hassan, 1976: 4).

رسالة الإمام علي (ع) إلى معاوية و كيفيّة الاتّساق فيها

أرسل الإمام (ع) الرسالة إلى معاوية ردّا على رسالته التي اتّهم فيها الإمام (ع) بالحسد والبغي على الخلفاء والاشتراك بدم عثمان. الإمام علي (ع) في هذه الرسالة يفضح ما ادّعاه معاوية وأجابه بجواب حاسم فنّد فيه مزاعمه وأباطيله، وقام بِعدّ فضائل بني هاشم وفضائح بني أمية، ثمّ يفصح عن مظلوميته وشجاعته. ولكن العاطفة السائدة على الرسالة واحدة، والمواضيع المنوّعة فيها تنتهي إلى موضوع واحد وهو التركيز على رفض ما ادّعاه معاوية بالأدلّة والبراهين. يتناول البحث أهمّ ملامح الاتّساق موضّحا أسسه ووسائله، ويسعى للكشف عن دور هذه المقوّمات التي تعاونت لتحقيق ما ينويه الإمام (ع) في الرسالة الثامنة والعشرين من نهج‌البلاغة.

الاتساق التركيبي

يهتمّ الاتّساق التركيبي بالعوامل النحوية وقواعد تركيب الجمل ويتوجّه إلى بحث عناصرها في تراكيب النصّ؛ فنحن نقوم بعرض المعالم النحوية ونسلّط الضوء عليها في رسالة الإمام علي عليه السلام.

الإحالة: تعتبر الإحالة أداة تربط بين الجمل والعبارات وتشمل استخدام اسم بدل اسم آخر، وكذا استخدام فعل بديلا عن فعل آخر، وتعني «علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقف تدلّ عليه عبارات أخرى في السّياق أو يدلّ عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم مثل ضمير، واسم الإشارة، والموصول» (عفيفي، ٢٠١٥: ١٢)، ممّا لا شك فيه أنّ عناصر الإحالة ليست لها دلالات مستقلة وتأويلها يحتاج إلى العودة إلى ما تشير إليه. تقسم الإحالة عند «هاليداي» و«حسن» إلى نوعين: الإحالة النصّية (إحالة داخل النصّ)، والإحالة المقامية (إحالة خارج النصّ). الإحالة المقامية ترجع إلى ما يستنبط من الموقف، وأما الإحالة النصّية فهي إحالة بالعناصر اللغوية الواردة في النصّ، إما سابقة، وإما لاحقة (Halliday and Hassan, 1976 33. 34)

أ) الإحالة بالضمير

«الضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية فقد يحلّ ضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدّة جمل. ولا تقف أهميتها عند هذا الحدّ بل تتعدّاه إلى كونها تربط بين أجزاء النصّ المختلفة، شكلا ودلاليّا، داخليّا وخارجيّا، وسابقةً ولاحقةً» (صبحي، ٢٠٠٠م: ١/١٣٧). تتفرع الضمائر إلى الحاضر والغائب. كما يبدو تحيل ضمائر الحضور على خارج النصّ (إحالة مقامية)، وضمائر الغائب تحيل على عنصر موجود في النص (إحالة نصّية أو مقالية)، وترجع إلى ماسبق ولايمكن أن تدلّ على ما يكون خارج النصّ ولا تصلح له.

وأمّا الرسالة فهي تستهلّ بعبارة «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ...» التي فيها تلميح إلى أنّ هذه الرسالة كتبها الإمام عليه السلام جوابا لما أرسله معاوية. العبارة تحتوي على: ١- ضمير الياء العائد إلى الإمام (ع) أو المتلقي (لما أرسله معاوية سابقا إلى الإمام (ع))، ٢- ضمير كاف الخطاب وضمير أنت المستتر الراجعين إلى معاوية، أو المرسِل، ٣- ضمير الهاء للغائب العائد إلى ما كتبه معاوية للإمام (ع)، أو النصّ؛ ففي هذه العبارة القصيرة إشارة واضحة إلى أركان التوصيل الثلاثة في الخطاب، وهي المرسِل والمرسَل إليه والرسالة، وتعتبر هذه العبارة القصيرة الحلقة الواسطة بين رسالة معاوية وما كتبه

1. Cohesion in English

الإمام(ع) في جوابه. ذكر القصد يعدّ من أهمّ مقوّمات النصّ. فلكلّ كاتب خطّة يسعى إلى بلوغها عبر النصّ. فالإمام(ع) استهلّ الكلام بإيضاح ما ينويه وذكر مناسبة النصّ وهي الإجابة عمّا ادّعاه معاوية حول قتل عثمان وما كان من أمره.

وضع الإمام(ع) معاوية في حالة استذكار مكانته ومكانة الإمام (ع) إذ قابل بني هاشم ببني أمية وعدّ سمات كل منهما. فقد اتّجه الإمام (ع) إلى الإحالة المقامية المتمثلة في ضمائر الخطاب بنوعيه المتكلم والمخاطب: «وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ». قد تكرّرت الضمائر المتتالية (نا وكم) المحيلة على بني هاشم وبني أمية لتساهم في الاتّساق وتكشف عن أثر تتبّع الإحالات في عملية الربط، ودورها في توصيل المعنى وترسيخ الدلالة.

ثمّ يتدرّج الكلام في الإحالات النصّية بضمير الغائب حيث يدور الكلام حول عثمان: «ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ ... وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثًا فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي». تكرار ضمير الغائب العائد إلى سابق مذكور في النصّ وهو عثمان، أربع عشرة مرة، يجعل المقطع نسيجا محكما ومتلاحما.

الضمير بصوره المنوّعة يعدّ من أكثر الإحالات تداولا في الرسالة (١٧٧ مرة). وكما يبدو من الشكل ١، ضمير الغياب رغم كثرة مَن يحيل إليه من الله جلّ جلاله و النّبيّ(ص)، ثم عثمان بن عفّان و...، أقلّ بكثير من ضمائر الحضور التي سادت على النصّ، وسياق التخاطب يؤدّي إلى توفّر الإحالة الخارجية في الضمائر، والانتشار الواسع لضمائر الحضور بنوعيه المتكلم والمخاطب، جعل للإحالة الخارجيّة أو المقامية دورا رياديّا في تحقق التماسك. ومن الملاحظ أنّ الإحالة في ضمير الخطاب الذي يعود إلى المتلقي، وهو معاوية تتوافر في النصّ من بدايته حتى النهاية. استخدام الإحالات الخارجية يوجد صلة بين النصّ والواقع الخارجي، وهذا ما يقتضيه الخطاب. فهذه الضمائر تربط اللغة بسياق المقام والإحالة لا تسهم في اتّساق النصّ مباشرة فحسب، بل تلمح إلى الصلات الاجتماعية السائدة على المتكلم ومخاطبه.

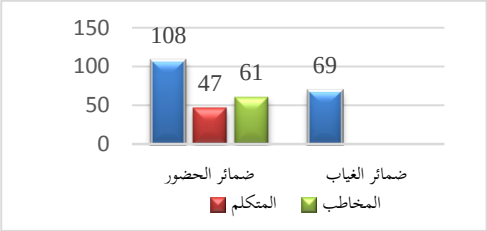

الشكل ١. أنواع الضمير

ب) الإحالة بأسماء الإشارة

هناك نوع آخر من الإحالات وهي الإحالة المتمثلة في الإشارة إلى الزمان والمكان والبعد والقرب. أسماء الإشارة أوسع دلالة من المضمرات لأنّها مبهمة في ذاتها ولايتعيّن معناه إلّا بالإحالة على ما يشار إليه. تميّزت الإحالة بالإشارة بتوسيع الإحالة لأنّ الإشارة تستعيد صورة كاملة من جملة أو عبارة كاملة. ومنها: «فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ»؛ اسم إشارة "ذلك" يرجع إلى حدث حكاه الإمام (ع) قبله فيقرب البعيد ويفيد الإيجاز والاختصار. ومن أمثلة أخرى منها: «وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ» و«فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ». فالإشارة تحقّق الاستمرار والتواصل دون التكرار، ووفائدتها الاقتصار في الكلام والالتحام بين العبارات. وكانت الإحالات الإشارية أقلّ استخداما من الإحالات الأخرى في‌الرسالة.

ج) الإحالة بالموصول

للموصول دور هام في دعم سمة النصية، لأنه من الأسماء المبهمة، فيحتاج إلى صلة تفسره. الموصول يربط صلته بمذكور سابق، ويحدث الترابط بين ما يرجع إليه وما يلحقه من الصلة والجمل التي قد تتبع الصلة وتعطف عليها. يتضح دور هذا القسم من الإحالات في الرسالة في عدة مواضع، ومنها: «كِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ

عَنَّا». و«وَ لَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرِ عُثْمَانَ» و«فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَ مَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَ اسْتَكَفَّهُ أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ».

تبيّن من دراسة الموصولات أنّ الإحالات بالموصول تقتصر على الموصولات البَعدية (مَن ومَا) ولم يأتي في الرسالة شيء من الموصولات القبلية (الذي ومشتقاته) فالموصولات المستخدمة في الرسالة تحيل على مذكور لاحقٍ بعد الموصول، فمفسّر الموصولات يلحق بها، ويؤدّي إلى تناسق لفظي ومعنوي في النصّ ليكون اتحاده وانسجامه محقّقا غاية الإمام (ع) في الربط واستمرارية النصّ.

د) الإحالة بالمقارنة

تقوم المقارنة على طرفين وهما المقارن والمقارنبه، وفي رأي هاليداي وحسن لها قسمين: عامة وخاصة. ومن المقارنة العامة يتفرع التطابق ويتمّ باستخدام ما يعبّر عن التشابه نحو «مثل» و«متشابه»، والطرفان إمّا متماثلان أو غير متماثلين. والمقارنة الخاصة تتفرّع إلى كمّيّة تتمّ بعناصر نحو «أكثر» و«أفضل» وما شابههما (الخطابي، ١٩٩٢: ٢٠).

المقارنة على غرار الأدوات الأخرى تشارك في اتّساق البنية اللغوية، وتعتبر من وسائل الربط لنقل تمام المعنى إلى المخاطب. لتسليط الضوء على هذا النوع من الإحالة نذكر بعض النماذج منها: «...طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ وَدَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ». تتبدّى المقارنة في هذه العبارات، وعن طريق الإتيان بالأمثلة. الإمام (ع) اعتمد على المقارنة العامة بين المخاطب وهو معاوية وبين "ناقل التمر إلى هَجَر" مرة و "مَن يدعو مسدّده إلى النضّال" مرة أخرى، ليصوّر قيام معاوية بعمل عبث في أحسن كلام ويجسّده بصورة محسوسة ليلفت انتباه المتلقي إلى المعنى ويدعوه إلى التفكير فيه.

وفي موضع آخر: «فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ». جاءت المقارنة العامة بين بني هاشم وبني أمية وطرفا المقارنة غير متماثلين. كانت غاية الإمام (ع) من هذه المقارنات المتتالية إزاحة الستار عن فضائل بني هاشم وفضائح بني أمية. تعمّد الإمام (ع) أن يجعل التقابل بين ضمائر المخاطب والمتكلم ليكونا سدى ولحمة لنصّ الرسالة وبما أنّ الرسالة تكون جوابا لما أرسله معاوية إلى الإمام (ع)، فنوع الرسالة خطابية كما أن يكون العاطفة السائدة عليها هي العتاب.

ومن المقارنة الخاصة: «فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ أَمْ مَن اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ». كانت المقارنة بين الإمام (ع) ومعاوية فطرفا المقارنة غير متماثلين، وتحقّقت المقارنة باستخدام اسم استفهام «أي» المصحوب باسمي التفضيل «أَعْدَى» و«أَهْدَى»، وصلة موصولي "مَن" الإثنين تبيّن القصد بالكناية، فالصلة الأولى"بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّه" ترجع إلى الإمام (ع)، والثانية وهي "اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْه" تشير إلى معاوية، لتزيل الصلتان الغبار عن المعنى وتتمّ بهما المقارنة.

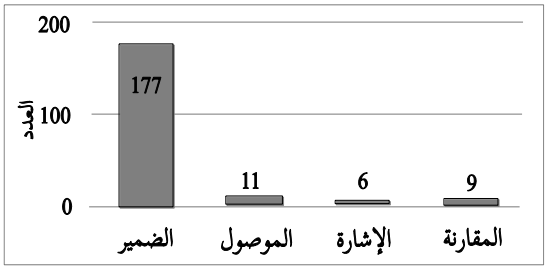

الشكل ٢. أنواع الإحالة

كما يبدو من معطيات الشكل ٢، كانت الضمائر أكثر الإحالات تداولا في الرسالة، وكما أشير سابقا وفي الشكل ١، استخدام ضمائر الحضور أو سياق التخاطب يؤدي إلى توفر الإحالة الخارجية التي لها دور ريادي في تحقيق التماسك.

الاستبدا: يعرّف علماء النصّ الاستبدال بأنّه «عملية تتمّ داخل النصّ، أنّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر» (الخطابي، ١٩٩٢م: ٩٠). هذا العنصر ربّما يكون اسما، أو فعلا، أو عبارة. فيعتقد هاليداي وحسن «إنّه علاقة داخل النصّ ويستعمل عوض تكرار بعض الأدوات الخاصّة» (المصدر نفسه: ١٢٤).

في الاستبدال يمكن أن يستبدل اسم عن اسم آخر، نحو: «وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ». استبدل "فُلَانٌ وَفُلَانٌ" عن ذكر الأسماء المرمية، لأغراض معنوية منها الكناية وعدم التصريح. أو المستبدلبه اسم يستبدل عن جملة كاملة، كما ينقل «الخطابي» عن هاليداي وحسن: «يوجد نوع آخر من الاستبدال تعوّض فيه بعض المفردات نحو (كذلك، نعم، لاو...) جملا كاملة» (المصدر نفسه: ١٢٨). كما جاء في الرسالة: «طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ». إنّ اسم إشارة "ذلك" استبدل عن كلام وهو "إخبارُك إيّانا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا" ليفيد الاختصار من جهة والاتّساق من جهة أخرى.

وفي عبارة: «وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ». فقد استبدل (ذلك وكذلك) عن المستبدل منهما وهو الجملة السابقة. وممّا يلفت الانتباه في استبدال اسم الإشارة هو امتزاج الاستبدال والإحالة بالإشارة وإمكان اعتبار كل منهما الآخر.

الحذف: نُقل عن «كريستال» في المعنى الاصطلاحي للحذف «وهو حذف جزء من الجملة الثانية، ودلّ عليه دليل في الجملة الأولى» (صبحي الفقي، ٢٠٠٠م: ١٩١/٢). يقسم الحذف على أنواع ثلاثة: حذف اسمي، وحذف فعلي، وحذف القول. و«الحذف كعلاقة اتّساق لا يختلف عن الاستبدال، إلا بكون الأول استبدالا بالصفر، أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثرا، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، في حين علاقة الحذف لا تخلف أثرا ...ففي الحذف لا يحلّ محلّ المحذوف أيّ شيء» (الأزهر الزناد، ١٩٩٣م: ١٢٤)، بل له قرينة تدلّ عليه.

مما يجدر بالذكر أنّ الحذف المعتنى به في مجال الاتّساق يتجاوز عن إطار الجملة الواحدة ليصل إلى ساحة النصّ والعلاقات بين الجمل. قد يحدث الإيجاز بحذف الجمل؛ ومن المواضع التي يكثر الحذف فيها، حذف الجملة، ومنها: «مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ وَ[مَتَى أَلْفَيْتَهُم] بِالسُّيُوفِ مُخَوَّفِينَ». ومن حذف الاسم: «فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ وَ إِنْ يَكُنْ [الْفَلَجُ] بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ». ومن حذف الفعل: «مَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي دِينِهِ وَلَا[يكونُ] مُرْتَابًا بِيَقِينِهِ». وقد يقع الحذف بعد عنصر إشارى نحو (كلّ، بعض، أيّ، كلا وكلتا) (عزّة شبل، ٢٠٠٩: ١١٨). ومنه: «أَلَا تَرَى ... أَنَّ قَوْمًا اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلّ [منهم] فَضْلٌ».

مما يبدو من الحذف في العبارات المذكورة أنّه لم يعقّد الكلام بل الحذف الاتّساقي إضافة إلى ما له من الفائدة في الإيجاز يؤدّي إلى الانسجام الصوتي والاتّساق الدلالي، ويعتبر المحذوف كالمذكور في الدلالة، ويشترط في الحذف أن يدلّ عليه دليل ليقوم بملئ الفجوات في ذهن المتلقي، وفي العبارات المذكورة نرى أنّ هناك دلائل نهتدي بها إلى المحذوفات، فالكاتب استغنى عن ذكرها ثانية، فحذفها أفصح من ذكرها. وبعد إمعان النظر إلى المتتاليات النصّية نجد أنّ ما حُذف في النصّ يتجاوز غالبا عن إطار جملة واحدة ويؤدّي إلى الاتّساق بين الجمل المتتالية.

الربط: تعتبر أدوات العطف من وسائل الاتّساق، ولها دور رياديّ في تلاحم الجمل والعبارات. أدوات الربط النصّي كثيرة، ومن أهمّها:

– الربط الإضافي الذي هو «يربط بين صورتين حيث يوجد بينهما اتحاد أو تشابه» (أبو غزالة؛ خليل علي، ١٩٩٩م: ١٣). وهو بواسطة الأداتين (الواو وأو). وعندما تعطف بهما الجملة على الجملة يتحقق

الاتّساق. نحو: «هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ». الواو تربط العبارات اللاحقة بما سبقها فتفيد الإبانة وإيضاح غرض الكاتب، والفاء تفيد الترتيب دون التراخي، ومن استعمالها في نصّ الرسالة: «فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ أَمْ مَن اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ».

–والربط الزمني ومن أدواته (ثم، قبل، بعد و...)، ومنه: «أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا. ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ»، و«لَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ».

–وأمّا الأنواع الأخرى من العطف فمنها: الربط العكسي وهو الوصل بين النقيضين فيسبّب العلاقة بين المتنافرين ومن أدواته (لكن، رغم، مع ذلك و...) (عزة شبل، ٢٠٠٩: ١١٢)، ومن أمثلته: «وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا». و«لكنّ» تحقّقت التلاحم بين الجملتين المختلفتين، والجملة الثانية «أَطْلَقْتُ لَكَ...» تغاير الجملة الأولى «هَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا» في الدلالة، والعبارة التي تعقّب «لكنّ» تضيف إلى ما يسبقها دلالات جديدة مغايرة، وكأنها جواب لسؤال مقدر وهو: إن قصدت حجتك إلى غيري فلماذا أطلقتها لي؟ وكذلك في العبارة: «أَ لَا تَرَى– غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ– أَنَّ قَوْمًا اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ». الإمام (ع) يلفت معاوية باستشهاد المهاجرين والأنصار، ثم بقوله (ع) هذا «غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ» يثير سؤال المتلقي: كيف تخبرني ولا تخبرني؟ فالجواب: «بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ»، فالإمام (ع) خاطبه بلهجة ازدراء واحتقار، وما يربط بين الجملتين وتَبين به السبب فهو «لكن».

استخدم الإمام (ع) أداة الربط (٨٢ مرة)، و كما يبدو من الشكل (٣)، أكثر من توظيف الواو، ثم الفاء، وحروف الربط الأخرى (أو، لكن، حتى، ثم و...) كانت أقلّ استخداما.

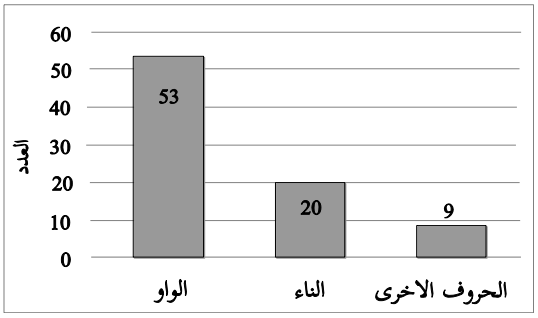

الشكل ٣. أداة الربط

الاتساق المعجمي

الاتّساق المعجمي نوع آخر من الروابط بين الجمل ومظاهر انسجامها. هذا النمط من الاتّساق يتجلّى في الإيقاع بأنواعه المختلفة كالسجع والجناس والتكرار، ثمّ المصاحبة اللغوية (التّضام) بنوعيه الترادف والتضاد.

الإيقاع: عرّف ابن منظور الإيقاع بأنّه «من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقّع الألحان ويبيّنها» (ابن منظور، ١٣٠٠ق، مادة وقع). إنّ لفظة الإيقاع «بمعنى الجريان والتدفّق. وهو صفةٌ مشتركةٌ بين الفنون جميعًا، وتبدو واضحةً في الموسيقى والشعر والنثر» (وهبه، والمهندس، ١٩٨٤: ٧١). فالإيقاع ملمح أسلوبي لا يقتصر على الشعر بل يتعداه إلى الفنون النثرية ويأتي من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق خاصّ، وبالتالي يعطي النصّ التناسق والانسجام. من العناصر المساهمة في إحداث التواصل السمعي السجع والجناس والتكرار. ففي هذا المجال نبذل جهدنا في تبيين أثر كلّ من هذه المؤثرات في الاتّساق.

السجع: يعدّ السجع جزءا لا يتجزّأ من الإيقاع ويشكل قسما مهمّا من موسيقى الكلام المنثور ومن أهم الأركان الصوتية في تشكيل البنية الإيقاعية التي تعتمد على تكرار الحروف ضمن نظام صوتي منسق وشريطة خلوّه من التكلف والتصنع يوجد تناغما إيقاعيا وتجاوبا دلاليا بين المتلقي والمتكلم ويعتبر عاملا لاتّساق النصّ ومتعته.

ومن أمثلة السجع في الرسالة: «أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ» و «وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ ... شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ». يعتبر معاوية من أعداء الإمام (ع) ومخالفيه وتوجيه الكلام إليه يحتاج إلى مؤثرات صوتية وجرس

الموسيقى؛ لعلّ هناك غرضا آخرا لاستخدام السجع وخاصة السجع القصير وهو زيادة التأثير والمحافظة على الكلام من النسيان لأنّ الكلام المسجوع بجرسه الرنّان أيسر للحفظ وأبقى في الذاكرة. ثمّ يجدر بالذكر أنّ الإمام (ع) لا يلتزم بالسجع؛ فبعض العبارات مسجوعة وأكثرها يكاد أن يخلو من السجع، فلا يلحّ الإمام (ع) في استخدامه والتكلف به، بل يستخدمه عندما يقتضي الحال وفي خدمة المعنى لزيادة التأثير.

الجناس: الجناس في اصطلاح البلاغة يطلق على اتفاق اللفظتين في اللفظ واختلافهما في المعنى (الخطيب القزويني، ١٩٧١، ٢٢٨). و«يمثّل لما فيه من عاملي التشابه في الوزن والصورة، أقوى العوامل في إحداث هذا الانسجام، وسرّ قوته كامن في كونه يقرّب بين مدلول اللفظة وصورته من جهة وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ من جهة أخرى» (الطيّب، ١٩٩٥: ٦٦٣/٢). يترك تردد الأصوات في الكلمات المتجانسة أثرا واضحا في إحداث التناغم الموسيقي. وأما هناك فارق أساس يجعل الجناس متميزا عن غيره من ضروب التكرار، وهو اختلاف المعنى في اللفظين المتجانسين. هذا النوع من البديع وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ، فهو ليس إلا تفنّنا في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتّى يكون له نغم وموسيقى (أنيس، ١٩٥٢: ٤٤).

«فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُك تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا- صلى الله عليه واله- لِدِينِهِ وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ... وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ». يتّضح الجناس الاشتقاقي بين لفظي «الْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ» وكذلك «السَّائِسَ وَالْمَسُوسَ» من جهة وبين اسم «تَأْيِيدَهُ» وفعل «أَيَّدَهُ» من جهة أخرى، وله دور بارز في الإيقاع من خلال تكرار الجذر اللغوي للمتجانسين. هذا التآلف في بنية الخطاب أدّى دوره في تحقيق التأثير في السمع وخاصة إذا كان هناك غرض معنويّ، ويستهدف التركيز على المعنى الكامن وراء الألفاظ وهو التقابل، ويقوّي رنين اللفظ، ويعطيه ترديدا لتأدية المعنى حقّه من القوة والتوكيد.

ونموذج آخر في نفس المجال: «ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَك أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِك مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ». الجناس قد يوسّع دائرة المعاني. فمنه الجناس المضارع بين لفظي «أعدى» و«أهدى» إذ لهما معنيان متقابلان؛ جاء الاشتقاق ليوثق الصلة بين اللفظ والمعنى وهي تنبع من ترديد الأصوات المتماثلة. ثمّ وقوع الجناس الاشتقاقي في مادة "النصر" بين اسم "نُصْرَتَهُ" وفعل "اسْتَنْصَرَهُ" إضافة إلى أثره البارز في الاتّساق، يؤدّي إلى تصاعد الإيقاع ويزيده جمالا.

التكرار: «التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة» (نازك الملائكة، ١٩٨٩م: ٢٧٦). أمّا من منظور علماء النصّ فهو «إعادة عنصر معجميَ ما أو مرادفه أو شبهه أو عنصر مطلق أو اسم عام» (الخطابي، ١٩٩٢م: ٢٤). و«البحيري» جعل التكرار قسما من الإحالات وقدّم تعريفه له إذ يقول: «الإحالة التكرارية هي الإحالة بالعودة وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النصّ قصد التأكيد» (بحيري، ١٩٩٤، ١٥١)، كما عرّفه "ديفيد كريستال" بأنّه «التعبير الذي يكرّر في الكل والجزء» (صبحي الفقي، ٢٠٠٠م: ١٩/٢). التكرار من منظور التحليل النصّي يختلف عن استخدامه من قبل علم البلاغة؛ فالدلالة البلاغية له بشكل عام التوكيد، ولكن في ضوء علم اللغة النصّي «يهدف إلى تدعيم التماسك النصّي، وكذلك يوظّف من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنصّ» (صبحي الفقي، ٢٠٠٠م: ٢١/٢).

بما أنّ التكرار يعتبر من أهمّ آليات الاتساق فله أهمية بالغة في هذه الرسالة، ومنه: التكرار الكلي (تكرار اللفظ) والتكرار الجزئي (الاشتقاقي). التكرار على مستوى النصّ، يعمل في دعم التلاحم النصّي، وبما له من أثره الإيقاعي والنفسي، قد يأتي لغايات جمالية وفنية.

التعبير المكرر في الكل يؤثر في تشابك أجزاء النصّ، نحو: «وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَمَا فُعِلَ

بِوَاحِدِهِمْ»، و«فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا»؛ و«فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ»، و«وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ». وفي هذا الأخير تكرار لفظ «الطّلقاء» يكمن غرضا معنويا وهو التحقير، وهنا تلميح إلى أنّ معاوية يعدّ من أبناء الطلقاء وتكراره يؤكّد على وضاعة شأنه وشأن أبيه. يؤثّر التكرار في مستوى المعنى، وإثر تتبّع الألفاظ المتكررة في الرسالة تبيّن لنا أنّها تومئ إلى مضمون الرسالة والعاطفة السائدة عليها. وإضافة إلى أثر التكرار في الانسجام، فإن له أثرا بالغا في الإيقاع الداخلي. فنظرة إلى العبارة بأثره تؤيد المدعى: «وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ هَيْهَاتَ». أكثر الإمام (ع) من توظيف الأصوات الانفجارية نحو (الباء والتاء والطاء والقاف) ليدلّ بها على شدة الغضب. يتصف حرفا التاء والقاف بالشدة والانفجار. صوت التاء يوحي بالقرع، أما القاف يحدث صوتا للمفاجأة. كذلك لحرف الطاء إيحاءات خاصة منها الشدة والغلظة حيث «اجتمعت فيه صفات الجهارة والاستعلاء والإطباق» (العكبري، د.ت: ٢/٤٦٧). فنلاحظ في هذه العبارة القصيرة جوا إيحائيا ينتج عن التكرار الملحوظ للأصوات المسبقة، وصوت المد (الياء) الذي يوحي بجرسه الطويل والمنخفض إلى الذلة والمهانة، فنجد في هذه المنظومة الصوتية المفخّمة تعبير جليّ عن العتاب الممزوج بالغضب والتحقير.

قد يتحقّق الاتّساق عن طريق التكرار الجزئي أو الاشتقاقي الذي يضمّ نوعا من تكرار الحروف: «وَلِكُلّ فَضْلٌ حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ». أول ما يلفتنا هو موسيقاها التي يوحي بها تكرار صوت الشين. «الشين» صوت رخو إذ يأتي منسجما مع معنى التفشي والانتشار إلى كل الأنحاء ودون أيّ نظم وقاعدة. تكرار صوت الشين، خلق تواليا نغميّا بإسهام مع التكرار الاشتقاقي لمصدر "الشهادة". ممّا يستدعي الوقوف عند الفقرة هو أنّ هذا الحرف لا يستعمل في الفقرة إلّا فيما يتعلّق بمعنى الشهيد والاستشهاد، ويصوّر مشهدا من اندفاع دم الشّهداء ورشّه إلى الأنحاء، فليس ببعيد أنّ صيت بني هاشم وسمعتهم التي انتشرت في كلّ الأرجاء لا يكون إلّا ثمرة لاستشهادهم. ثمّ تكرار حرف السين الصفيري وصوته الخاص يساند تداعي نشر الفضائل ودوامها بين الناس. هذان الحرفان أكثر مناسبة للإعلان ويؤكد معناه.

وفي عبارة «وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ»، مما يلفت انتباه المخاطب هنا التكرار الاشتقاقي الممتزج بالتقابل بين "الفَاضل والمفضول" و"السائس والمسُوس" الذي يجعل الكلام نسيجا محكما ويمنحه جمال اللفظ و توكيد المعنى. هذا التقارب اللفظي والترديد الاشتقاقي يثير العاطفة ويضفي على النص إيقاعا جميلا، والإمام (ع) أحسن توظيف الألفاظ ببراعة فيرتفع بها الموسيقى مما أسبغ على الكلام تميزا إيقاعيا ودلاليا يسترعي انتباه المتلقي.

التوازي: يتحقق التوازي في التماثل بين العبارات والجمل. التوازي «عبارة عن تكرار نظم الجملة، أو يمكن تسميته تكرار التتابع النحوي، أي تكرار الطريقة التي تبنى بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجميّة التي تتألف منها الجملة» (قطب، ١٩٩٦: ١٨٥). ويمكن أن يتحقّق التوازي في النصوص الدينية والسياسية. عندما يلقي المتكلم جملة ما، ثم يتبعها بجملة أخرى، متصلة بها، أو مترتبة عليها، سواء مشابهة لها في المعنى، أو مشابهة لها في الشكل النحوي ينشأ عن ذلك ما يعرف بالتوازي (عبد الواحد، ١٩٩٩م: ٨).

للتوازي أنواع ربما يكون الجزء الثاني مرادفا للجزء الأول، ومنه: و«وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكنْ شَاكًا فِي دِينِهِ وَلَا مُرْتَابًا بِيَقِينِهِ». وقوع التوازي بين عبارتي "شَاكًا فِي دِينِهِ" و"مُرْتَابًا بِيَقِينِهِ" يتفاعل مع البعد الدلالي في الكلام ويعطيه اتّساقا ويزيده تأثيرًا.

و«وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِع قَتَامُهُمْ».استمدّ الإمام (ع) من التوازي بين عبارتي "شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ" و"سَاطِع قَتَامُهُمْ" لتقديم تصوير واضح وحيّ عن مشهد الحرب، ويهيّء جوّا لتوصيل المعنى

وإثراءه واستمرار الحالة الشعورية السائدة على النص وبالتالي يؤدّي إلى الاتّساق.

و«وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ». قام الإمام (ع) بذكر الأوصاف المترادفة للمتلقي، ولا يكتفي بذكر "ذَهَّابٌ فِي التِّيهِ" عمّا يؤكده ويشابهه في المعنى "رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ".

لا تنحصر التوازي في الترادف ويكون أحيانا بين المتضادين: «وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ». أنشأ الإمام (ع) الرسالة جوابا لأباطيل معاوية، فعنيت الرسالة ببعض القضايا، ومن أهمّها إثبات فضائل بني هاشم ورذائل بني أمية، وهذا أمر يقتضي بعض التقابلات وتواليها. الكلام هنا يدور حول التذكير بالتقابلات الملفتة للنظر بين بني هاشم وبني أمية في التعبير عنهما بـ "منّا" و"منكم". التوافق الموسيقيّ والتضاد الدلالي يمنح النصّ طابعا جماليا وطاقة تعبيرية فائقة، ويؤدّي إلى التوازي بين العبارات المتكررة. فقد كان لهذا التوازي أثر في الإبانة عن عواطف الفخر والغضب ويتحول إلى أداة من أدوات التعبير عن العواطف الصارمة.

إضافة إلى أثر التوازي في الإيحاء بالمعاني، فهو متحقّق في الجانب النحوي، يسبغ على النصّ تناسقا صوتيا بديعا وإيقاعا جميلا. فالتوازي أفضى إلى حالة من الترابط بين الجمل والعبارات ويؤدّي إلى الاستمرارية في الدلالات الصوتية والنحوية.

التضام: يعتبر التضام أو المصاحبة اللغوية (collocation) من وسائل تحقيق الاتساق المعجمي، ويطلق على توارد زوج من الكلمات نظراً لارتباطهما، ويتفرع بين الترادف والتضاد (الخطابي، ١٩٩٢: ٢٥). وهذا العنصر تضافر مع العناصر الأخرى لتحقيق الاتساق.

الترادف: يعتبر الترادف نوعا من التكرار باختلاف اللفظ وإعادة المعنى. ومنه: «وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ». يبدو أنّ التشابه التركيبي والتقابل الإيقاعي بين العبارات يؤثران في الإتيان بالمترادفين "تَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ" و"تَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ"، وبما أنّ هذا الترادف يؤدّي إلى اطّراد النغمات ويزيد الوقع الموسيقي، فإضافة إلى أثره في تقوية المعنى، له قيمة صوتية متميزة.

«وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي دِينِهِ وَلَا مُرْتَابًا بِيَقِينِهِ». وقوع الترادف بين "شَاكًّا فِي دِينِهِ" و"مُرْتَابًا بِيَقِينِهِ" يؤدّي إلى التّوسع في طرائق التعبير وأساليب البيان، وتكرار العبارات المترادفة يفسح المجال للتفكير. العبارتان تعبّران عن شيء واحد بعينه إلّا أنّ التركيز والتوكيد في الثانية يكون أكثر من الأولى.

قد يقع الترادف بين المعنى المعجمي للفظ والمعنى المجازي للفظ آخر: «وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِع قَتَامُهُمْ». يقع الترادف بين عبارتي "شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ" و"سَاطِع قَتَامُهُمْ"، غير أنّ العبارة الأولى استخدمت في معناها الحقيقي وأمّا الثانية تؤكّد ذاك المعنى باستخدام الكناية. لأنّ "القتام" وهو الغبار الذي يضرب لونه إلى السواد، ولا يرتفع إلّا من جحفل عظيم ومزدحم. فمن الجدير بالذكر أنّ استخدام المترادفات في ساحة المفرد أو الجملة جعل النص متماسكا ومملوءًا بالتوكيد؛ ومما يبدو من العبارات،أنه لا يكاد ينفصل الترادف عن التوازي، وكل منهما يزيد من أثر الآخر في تحقق الاتّساق.

التضاد: إنّ الإتيان بالشيء وضدّه يُعدُّ إبداعًا حقيقيًا يؤلِّف بين المتناقضات. كثيرا ما تتمّ عمليّة الاتّساق عبر التضاد، وكل شيء يعرف بضده. قد يختلف المتضادّان في نوع الكلمة: «لَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ». كما يقيم الطباق بين فعل "أَضْحَكْتَ" واسم "اسْتِعْبَارٍ"، وهذا التقابل العكسي يكوّن علاقة اتّساقية متميّزة. أو يتّحد المتضادّان: «وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ». العبارة قائمة على الضدية بين فعلي «تَذُمَّ ومَدَحْتَ» و«تَفْضَحَ وافْتَضَحْتَ». ومن الملاحظ أنّ الاشتراك الجذري في "تَفْضَحَ وافْتَضَحْت" يؤدّي إلى تناظرها الإيقاعي. والتشاكل اللفظي والتقابل الدلالي يعطيان المعنى رونقا

وطلاوة ويكسبان اللفظ حسنا وجمالا.

«وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ». هنا تحقّق التّضاد بين "الْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ" من جهة وبين "السَّائِسَ وَالْمَسُوسَ" من جهة أخرى. تكون الألفاظ المتضادة متعاطفة وتضافر التضاد مع آليات الاتساق الأخرى. استخدام الجناس الاشتقاقي في بنية التضاد والانتقال من الفاعل إلى المفعول يعتبر من أروع الصّور التي رسّمتها العناصر المتضادة. هذا التضاد يجمع بين التماثل الصوتي والتقابل الدّلالي المناسب للمقام والملائم لمقتضى الحال، والمعبّر عن أحاسيس الكاتب وخلجات نفسه.

الخاتمة

بناء على ما ورد أثناء البحث ومعلومات الجدول ١، والشكلين ١ و٢، تبيّن لنا أنّ وسائل الاتّساق تجاوز أربعمائة في نص حول الصفحتين فهذا دليل على تعاضد عدّة آليات الاتّساق بنوعيه التركيبي والمعجمي في النصّ. استخدام الاتساق التركيبى حول ثلاثة أضعاف الاتساق المعجمي جعل الرسالة كبنية متّسقة متلاحمة لا انفصام لها. في الاتّساق التركيبي، وفي حقل الإحالات يعتبر الضمير أكثر أدوات الإحالة تداولا في النصّ، والانتشار الواسع لضمائر الحضور جعل للإحالة الخارجيّة دورا رياديّا في تحقق التماسك، ويعود السبب إلى سياق التخاطب السائد على النصّ. وأمّا أدوات الربط فيعدّ العطف بالواو والفاء بين الجمل والعبارات (ولا المفردات)، أكثرها تداولا في الرسالة. وأمّا الاتّساق المعجمي فهو ممّا يعطي الكلام فضل الاتّساق باستخدام ملحوظ للتكرار لأدواته المختلفة الأخرى نحو التوازي والسجع التضاد.

الجدول ١. مدى توظيف آليات الاتساق

	التركيبى					المعجمى						
	الإحالة	الحذف	العطف	الاستبدال	الجمع	السجع	الجناس	التكرار	التوازى	التضاد	الترادف	الجمع
العدد	٢٠٣	٨	٨٢	٧	٣٠٠	٢٠	١٣	٣٣	٢٤	١٧	٩	١١٦
النسبة	٦٧/٧	٢/٧	٢٧/٣	٢/٣	١٠٠	١٧/٢	١١/٢	٤.٢٨	٢٠/٧	٧.١٤	٧/٨	١٠٠

المصادر

ابراهيم مصطفى وآخرون (٢٠٠٥م). المعجم الوسيط. القاهره: مكتبة الشروق الدولية.

ابن أبي الحديد (١٤٣٦ق). شرح نهج‌البلاغة (تحقيق ابراهيم محمد أبوالفضل). ج ٦ و١. قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (١٣٠٠ق). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أبو غزالة، إلهام، وعلي خليل أحمد (١٩٩٩م). مدخل إلى علم لغة النصّ. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أنيس، ابراهيم (١٩٥٢م). موسيقى الشعر. مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ن).

البحيري، سعيد (١٩٩٤م). من أشكال الربط في القرآن الكريم، مقال من مجموعة مقالات مهداه للعالم الألماني فيشر. القاهره: مركز اللغة العربية.

بو ملحم، على (١٤٢٩ق). فى الأسلوب الأدبى. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

جمعان عبد الكريم (٢٠٠٧م). «مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصّية». مجلة علامات. ج٦١.

الخطابي، محمد (١٩٩٢م). لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب). بيروت: المركز الثقافي العربي.

الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد (١٩٧١م). الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق

وتنقيح: محمد عبد المنعم الخفاجي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الزناد، الأزهر (١٩٩٣م). نسيج النصّ (بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا). بيروت: المركز الثقافي العربي.

ساندريس، فيلي (٢٠٠٣م). نحو نظرية أسلوبية لسانية. ترجمة خالد محمود جمعة. دمشق: دارالفكر.

السيد رضي (١٣٨٢ش). نهج‌البلاغه. المترجم محمد دشتى. قم: مؤسسه‌ى فرهنگى تحقيقاتى امير المؤمنين.

صبحي، ابراهيم الفقي (٢٠٠٠م). علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق. القاهره: دار قباء.

الطيّب، عبد الله (١٩٥٥م). المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. الجزء الثاني في الجرس اللفظي. القاهرة: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

عبد الواحد حسن الشيخ (١٩٩٩م). البديع والتوازي. مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية.

عزة شبل، محمد (٢٠٠٩م). علم اللغة النصّي. مصر: جامعة القاهرة.

العكبري، عبدالله بن الحسين (بلاتا). التبيان في إعراب القرآن. عمان: بيت الأفكار الدولية.

قطب، مصطفى (١٩٩٦م). دراسة لغوية لصور التماسك النصّي في لغتي الجاحظ والزيات. أطروحة لنيل درجة الدكتوراه. جامعة القاهره: كلية دار العلوم.

الملائكة، نازك (١٩٨٩م). قضايا الشعر المعاصر. بغداد: مكتبة النهضة.

وهبة، مجدي. وكامل المهندس (١٩٨٤م). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت: مكتبة لبنان.

Halliday.M.A.K. and R. Hassan, cohesion in English, longman, London, 1976.

Oxford (advanced Learner's Encyclopedia), (1989), Oxford University, press , New York.

المواقع الإنترنتية

www.kotobarabia.com ٢١ عفيفي، أحمد (٢٠١٥/٧/٣). الإحالة في نحو النصّ، القاهرة: كلية دار العلوم.

شیوه‌های تحقق انسجام متنی در نهج‌البلاغه از منظر دستور زبان نقش‌گرا (مطالعه موردی، نامه ۲۸)

مریم جلیلیان

تاریخ دریافت: ۱۳۹۹/۰۱/۲۲ **تاریخ پذیرش: ۱۳۹۹/۰۶/۱۹**

استادیار، زبان و ادبیات عرب، دانشگاه لرستان، خرم آباد،ایران؛ jalilian.ma@lu.ac.ir

چکیده

انسجام از مهم‌ترین مباحثی است که در حیطه‌ی زبان‌شناسی متن مورد بررسی قرار می‌گیرد. اگرچه تعریف دقیقی از انسجام ارائه نشده است، اما به طور کلی بر پیوستگی متن در سطح ساختاری دلالت دارد و بر پایه عناصر دستوری و واژگانی شکل می‌گیرد. نهج‌البلاغه به عنوان کتابی متمایز و منحصر به فرد در سبک، حائز اهمیت فراوان است. از این رو پژوهش حاضر به بررسی انسجام و مهم‌ترین ویژگی‌های آن در نامه‌ای می‌پردازد، که امام علی (ع) خطاب به معاویه و در پاسخ به او نگاشته است، و شریف رضی آن را در زمره‌ی بهترین نامه‌ها می‌داند. دستیابی به این امر با استفاده از رویکرد تحلیلی و آماری و در چارچوب نظریه «مایکل هالیدی» و «رقیه حسن»، و با استخراج مهم‌ترین عناصر انسجام در سطح زبانی در نامه مورد نظر انجام گرفته است. از نتایج پژوهش حاضر اینکه پیوستگی اجزاء و واحدهای زبانی، به متن نوع خاصی از انسجام می‌بخشد که شامل انواع مختلف انسجام دستوری از جمله ارجاع به ضمیر و به ویژه ضمایر حاضر (مخاطب و متکلم) و ادوات ربط، همچنین انسجام واژگانی می‌شود، که بیشتر شامل تضاد و توازی و انواع تکرار مانند تکرار لفظ و تکرار اشتقاقی است.

کلیدواژه‌ها: نهج‌البلاغه، نامۀ بیست و هشتم، انسجام، انسجام دستوری، انسجام واژگانی.